

منهج العلامة المجلسي في مرآة العقول (في كتاب الحجة)

الدكتورة نهلة غروي نائيني - الأئمة رضية رجب
جامعة تربيت مدرّس
الجمهورية الإسلامية - إيران

تقديم

في الوقت الذي تضيق حياتنا بالمشاكل ذرعاً، ويثن عالمنا الإسلامي جرّاء ابتلائه بالاضطرابات وفقدان الأمن من قبل اعداء الإسلام، ويواجه شبابنا بالغزو الثقافي و تتكالب قوى الشرّ وتتحد أباديهم وتتطافر جهودهم لاعداد المخططات الهادمة المحرّفة لأجيالنا القادمة، ففي هذا الوقت تزداد حاجة الأمة الإسلامية لحضور حجة الله على الارض بينهم لإنقاذهم وتحريرهم من تلك المؤامرات المحاكاة لهم،...

هذه الدراسة تكون في صدد تعريف أسلوب العلامة المجلسي (ره) في شرحه لأحاديث «كتاب الحجة» في كتاب الكافي للمرحوم الكليني، وفي دراستنا هذه نكون سلّطنا الضوء على طريقة عرض وأسلوب العلامة للكتاب المذكور. وعملنا هذا في بيان أسلوبه لشرح الأحاديث ليكون معيناً عند قراءته وفي فهمه.

تعريف بالكتاب

مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول¹ هو كتاب عظيم في شرح الكافي من الأصول و

١. اعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة مصر، مصر، د. ت. ص ١٨٦.

الفروع والروضة ، لمحمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٨ / ٣٢٩ هجري، ألفه العلامة محمد باقر المجلسي المتوفى سنة ١١١٠ هجري . وكما يقول العلامة الطهراني: «هذا الشرح لطيف مفيد جدا ، بل هو أحسن شروحه»^١.

سبب تأليف الكتاب ومنهج مؤلفه فيه كما أخبر بذلك عنه في مقدمته

يقول المجلسي: إني لما ألفت أهل دهرنا على آراء متشعبة وأهواء مختلفة، قد طارت بهم الجهالات إلى أوكارها، وغاصت بهم الفتن في غمارها، وجذبهم الدواعي المتنوعة إلى أقطارها، وحيرتهم الضلالة في فيافيها وقفارها، فمنهم من سمى جهالة أخذها من حثالة من أهل الكفر والضلالة، المنكرين لشرايع النبوة وقواعد الرسالة، حكمة، واتخذ من سبقه في تلك الحيرة والعمى أئمة، يوالى من والاهم، ويعادى من عاداهم، ويفدى بنفسه من اقتضى آثارهم، ويبدل نفسه في إذلال من أنكر آراءهم وأفكارهم، ويسعى بكل جهده في إخفاء أخبار الأئمة الهادية - صلوات الله عليهم - وإطفاء أنوارهم ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ (التوبة / ٣٢).^٢ كما هو اليوم. أما عمله ومعالجته للأحاديث فتتلخص بما يلي:

١. كيفية تعامله مع سند الحديث

أدلى الشارح العلامة المجلسي بحكمه على الحديث دون بيان كيفية ذلك، لأمرين: أحدهما: عدم الإطالة، و ثانيهما: اعتماده وتعويله على القارئ في معرفة الكيفية. وفي ذلك، لم يتوسع في حكمه على السند ولم يقف عنده كوقوفه على النصّ وتوسّعه فيه. وله ثلاث وقفات فقط وذلك عند الحديث الأول من باب ما نصّ الله ورسوله على الأئمة ﴿عليهم السلام﴾ واحداً فواحداً بقوله: «صحيح بسندي»^٣ وفي الحديث السادس من نفس الباب بقوله: «ضعيف بسندي»^٤ وفي الحديث (٨ - ١) من باب الإشارة والنص على

١. الذريعة الى تصانيف الشيعة، شيخ آقابزرگ طهراني، دارالاضواء، بيروت.

٢. مرآة العقول، مقدمه ٣. نفس المصدر، ص ٢١٣ ٤. ص ٢٥٩

أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: مجهول، وفي رجال الشيخ، زيد بن جهم الهلالي.^١

١-١. الاستدلال بتواتر الحديث للتدليل والإثبات

لم يغفل، ولم يهمل، العلامة الشارح هذا الجانب، رغم صدوره الحكم على الحديث مقدماً، إلا أنه للتدليل بذلك، أكد على أهمية تواتر الحديث في اثبات الدلالة، فقال: «ولا يكون ذكر أولاد الحسين عليهم السلام للتخصيص بهم، بل لظهور الأمر فيمن تقدم منهم، بتواتر النص عليهم بين الخاص والعام».^٢ و«أنه يلزم العمل بظاهر الآية إلا فيما أخرجه الدليل، وفي الحسين عليه السلام خرج بالنص المتواتر، فجرت بعده...».^٣

و في ذلك - للإثبات - جاء بقول غيره من العلماء، فقال: «وأثبت الشيخ ابن الجزري الشافعي في رسالته الموسومة بـ «أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب»، تواتر هذا الحديث من طرق كثيرة...».^٤

و «وهذا الخبر [حديث الثقلين] من المتواترات لم ينكره أحد من المخالفين عند الاحتجاج عليهم».^٥

و «قد ظهر من تلك الأخبار المتواترة من الجانبين [اتباع الخلفاء، وأهل البيت] بطلان القول بأن ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم داخله في الآية...».^٦

٢. كيفية تعامله مع النص ومعالجته إيّاه

قام العلامة الشارح، في معالجته للنص، بشرحه لجميع الأحاديث شرحاً وافياً، بعيداً عن الإسهاب والإطناب، ومن جميع جوانبه، بغض النظر عن مدى صحة الحديث - حكم الحديث - إلا في المواضع التالية:

١. ص ٢٦٥ ٢. ص ٢١ ٣. ص ٢١

٤. ص ٢١٦ ٥. ص ٢٣٢ ٦. ص ٢٤٢

(الف) الحديث الثاني^١ والرابع^٢ المنسوبين للامام الصادق (عليه السلام) في باب إثبات الإمامة في الاعقاب.

(ب) الحديث الخامس^٣ المنسوب للامام الباقر (عليه السلام) في باب ما نص الله ورسوله على الأئمة (عليهم السلام) ،... ففي هذه الاحاديث ، الثلاثة ، رغم ضعف الأول و صحة الثاني و مجهولية الثالث [الثاني والرابع والخامس] إلا أنه لم يتفوّه بكلمة واحدة في شرحها ، بل اقتصر في الحكم على سندها فقط.

أما في المواضع التالية ، فقد اكتفى الشارح بعبارات قصار جداً لتوضيح ما اعتقده يحتاج إليه :

(الف) الحديث الثالث المنسوب للامام الرضا (عليه السلام) في باب ثبات الامامة في الاعقاب ، بعد الحكم بصحته قال الشارح : «مخصوص بأولاد الحسين (عليه السلام)» ، كما مرّ ، أو الغرض بعده (عليه السلام) .^٤

(ب) أما في الحديث الثاني المنسوب للامام الباقر (عليه السلام) في باب ما نص الله ورسوله على الأئمة (عليهم السلام) اكتفى الشارح بتوضيح معنى الكلمة فيه ، وذلك نقلاً عن غيره ، بقوله : «وقال في المصباح المنير : الامر والإمرة بالكسر : أمر الولاية وقد مضى القول فيه في الباب السابق» .^٥

أما في معالجته لبقية الاحاديث ، فنراه ، في هذا المنحى ، لا يفرّق بين الحديث الصحيح والموثق والضعيف والمجهول ، فقد عمل الشارح على شرحها ومعالجتها من شتى النواحي و سلوكه جميع السبل للتدليل و الاثبات و الخروج بالنتيجة المطلوبة .
فيما يلي نذكر النكات و الجوانب التي تعرّض لها العلامة في شرحه الأحاديث :

٢ - ١. بيان معاني مفردات الحديث

تعرّض العلامة الشارح للمفردة التي يعتقد الحاجة إلى بيان معناها لتوضيح الحديث و بيان

المراد منه؛ ففي بيان علامات الامام يبين العلامة معاني المفردات الواردة في الاحاديث لهذا المطلب، نحو: «المنشأ» مصدر ميمي من أنشأه إذا خلقه أو ربّاه، أي: يكون مربّي بتربية والده في العلم والتقوى، و...^١ «المتوّب»: المستولي ظلماً.^٢ «لايلهو» أي: لا يغفل عمّا يصلحه في شيء من أحواله.^٣ «لايلعب» أي: لا يرتكب أمراً لافائدة فيه، أو: لا يغتر بزخارف الدنيا.^٤

وفي بيانه لعلامات الامام، قال الشارح في عبارة «مالم يكن به عاهة» أي: آفة بدنيه، فإنّ الامام مبرّأ من نقص الخلقه...^٥

والحواريون: هم خواص عيسى على نبينا وآله ﷺ وأنصاره، من التحوير، بمعنى: التبييض. قيل: أنهم كانوا قصّارين يبيّضون الثياب وينقونها من الاوساخ. وقيل: بل كانوا ينقون نفوس الخلائق من الكدورات.^٦

٢-٢. إثبات دلالة المعنى بتربط اشتقاق المعاني

بعد أن ذكر العلامة الشارح معاني لمفردة «المولى» انتقل إلى المقام الثاني مقسماً إيّاه إلى مسالك، مستفيداً لها من المعاني المذكورة في المقام الأول وموجداً ترابطاً فيما بينها وارجاعها إلى أصلها الواحد، لاستخلاص النتيجة المطلوبة لاثبات وتأيد قوله، فنراه يقول: «وأما المسلك الثاني، ففيه مسالك»^٧ وقد تطرّق الشارح، للاثبات، إلى سبعة مسالك، ففي المسلك الأول قال: «إنّ المولى حقيقة في الأولى، واستقلالها بنفسها ورجوع سائر الاقسام في الاشتقاق إليها، لأن المالك إنما كان مولى لكونه...»^٨ و«أما الدعاء بموالة من والاه فليس بتلك المثابة، وإنّما يتم هذا لو ادعى أحد أن اللفظ بعد ما أطلق على أحد معانيه لا يناسب أن يطلق ما يناسبه ويدانيه في الاشتقاق على معنى آخر»^٩.

٣. ص ٢٠٦

٢. ص ٢٠٥

١. ص ٢٠٦

٦. ص ٢٧١

٥. ص ٢٠٧

٤. ص ٢٠٦

٩. ص ٢٢٥

٨. ص ٢١٩ الى ٢٢٠

٧. ص ٢١٩

٢-٣. بيان المسائل النحوية للتدليل (التدليل بالنحو)

لم يهمل العلامة الشارح الجانب النحوي، وذلك لاعتقاده بأهميته في بيان وشرح الحديث للتدليل والاثبات، لذلك تطرّق إليه، فنشهده في بياناته جلياً.. ففي بيانه لعلامات الامام واثبات حجته على الأنام قال: «والمنشأ: مصدر ميمي من أنشأه اذا خلقه أو ربّاه. و «ثلاثة: مبتدأ» و «من الحجة: خبره أو نعت؛ والجملة خبره»^١ و «والباء في قوله: بإشارة: للمصاحبة»^٢ و «وإن سكّت عنه، على بناء المجهول»^٣.

وفي بيان الاختلاف في باء «بالمؤمنين» و «ببعض»، من نفس الحديث الآنف الذكر، قال الشارح: «أن الباء في بعض، ليس كالباء في المؤمنين، فإنّ هذه (بالمؤمنين) دخلت على الوسيلة، وتلك دخلت على الرعية، فهذه للسيبة...»^٤.

وله ثمة تعرضات نحوية نذكرها كما يلي:

«وكلمة - ثم - للتراخي بحسب الرتبة لا الزمان، إن حملنا الكلام السابق على ما ذكر في يوم الغدير، وإلاّ فيمكن حمله على الزماني أيضاً»^٥ و «معرضاً: حال عن فاعل» و «يجبن: حال عن فاعل رجع»^٦ و «هو الذي: التركيب يدلّ على الحصر»، و «كتاب الله» مرفوع بتقديرهما. كتاب الله، أو منصوب بدل تفصيل لأمرين.^٧

٢-٤. التدليل بإظهار المضمّر والتقدير

لم يدع العلامة الشارح المعنى مضمراً، بل عمد إلى بيانه وإظهاره لرفع الإبهام وإزالة الشك والترديد، وذلك بتقديره، ولا يسهب في ذلك، بل يكتفي أحياناً حتى بالإشارة إليه كما في: «ويقدم: علامة أخرى»^٨ وهناك ثمة مواضع أخرى ندرجها فيما يلي: «واولئ (في

١. ص ٢٥٥	٢. ص ٢٥٧	٣. ص ٢٥٨
٤. ص ٢١١	٥. ص ٢٧٧	٦. ص ٢٧٨
٧. ص ٢٧٩	٨. ص ٢٥٤، و مراده: علامة أخرى للإمامة.	

الحديث)، بتقدير: أولى بالمؤمنين من أنفسهم، حذف [المقدّر] اكتفاء بما سبق.^١ «فلم يشرك والله، أي: رسول الله»،^٢ «فيها، أي: في الإمامة أو في الخلافة أو في الوصية أو في الأشياء المذكورة، وهي غيبه و خلقه و دينه».^٣

٢-٥. الإشارة إلى الصرف للتدليل

عرض الشارح لبيان الجانب العرفي للمفردات لبيان معناها ودلالاتها، فقال: «والخيرة بالكسر وكعنة مصدر باب ضرب: التفضيل، أو اسم مصدر باب الافتعال كما قيل».^٤ وقوله: «وأقول: يتنافي الثالث ما صرح به... حيث قال... والظاهر أن المراد أنه ﷺ» علمه الف نوع من أنواع الاستنباط».^٥

٢-٦. التعرّض للنكات البلاغية للتدليل

هناك ثمة نكات بلاغية في الحديث، لم يغفل عنها الشارح، بل تطرّق لذكرها لاعتقاده بأهميتها في الدلالة والإثبات، نذكرها ضمن أقواله في شرحه حيث قال: «فيقال كذاب، إشارة إلى الطعن في القم،... والكذب يشمل الكذب في الفتوى وغيره، والنشر على ترتيب اللّف: (١) «وما أشبه هذا: إشارة إلى الطعن في الفرج، لم يصرح ﷺ به لاستهجانته (٢)»».^٦

بما أن فن الالتفات (٣) من الفنون البلاغية المشهود في القرآن الكريم، فقد عرض إليه الشارح في بيان المعنى، فقال، ويحتمل أن يكون الخطاب متوجّهاً إلى أولى الأرحام على الالتفات، والمراد بأوليائهم: الخواص التابعين لهم في أوامرهم...».^٧

٢-٧. التدليل بالتفسير

لم يكتف الشارح ببيان معنى المفردة وتعريفها، بل تعدّى ذلك، وقام بتفسيرها وبيان

٣. ص ٢٦٢

٢. ص ٢٦٢

١. ص ٢١١

٦. ص ٢٠٦

٥. ص ٢٨٧

٤. ص ٢٧٠

٧. ص ٢١١-٢١٠

المراد منها للاستزادة في التوضيح والشرح، للاثبات، فقال: «يُسئل عن الحرام والحلال» أي: يسئله من عرف أحكام من تقدم من الأئمة (عليهم السلام) عن المسائل الغامضة والأحكام المشككة.^١ و«بالفضل» أي: «الزيادة على من عداه - غيره - في العلم والتقوى والورع».^٢ وقبل هذا التفسير للكلمة (وبالفضل) قال الشارح: «والمراد بالفضل: الاتصاف بكمال العلم والكرم والشجاعة وسائر الصفات».^٣

وفي تفسيره وبيانه لعلامات الإمامة في الأحاديث الواردة في هذا الباب في بيان «علامة أخرى» من علامات الإمام التي هي «طهر الولادة» قال الشارح في تفصيلها: أن لا يكون مطعوناً في نسبة،^(٤) أو يولد وهو مختون مسرور طاهر غير ملوث بدم».^٥

والمراد من: «ويكلم الناس بكل لسان، أي: كل قوم بلسانهم».^٥ وقال العلامة المجلسي في تفسيره للآية: «يا أيها الرسول بلغ...»، والمعنى: إن تركت تبليغ ما أنزل إليك أو كتتمته، كنت كأنك لم تبليغ شيئاً».^٦

وفي الحديث الرابع من باب «ما نص الله ورسوله على الأئمة» قال: «بولاية علي» أي: بتبليغ ولايته وإمامته وكونه أولى بهم من أنفسهم»^٧ و«وإن يكذبوه، أي: بأن يقولوا ليس هذا من عند الله، وإنما يقول لحبه له أو لم يقبلوا الولاية وإن اعترفوا أنه من عند الله».^٨ وفي الحديث السادس من نفس الباب قال: «قوله (عليه السلام): «وإنما أتاه ذلك، أي: الأمر بالولاية، بقوله: «يا أيها الرسول بلغ...»»^٩ «فإنهم لا يكذبونك: لا يأتون بباطل يكذبون به حقك، وهذا التفسير موافق لما فسرها عليه السلام».^{١٠} «لا تسبقوهم، أي: في الإمامة أو في شيء من الأمور»، «علي سيد المؤمنين، أي أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما أن السيد أولى بعبده

- | | | |
|--|-----------|----------|
| ١. ص ٢٠٥ | ٢. ص ٢٠٥ | ٣. ص ٢٠٤ |
| ٤. ص ٢٠٦ | | |
| ٥. ص ٢٠٨ (المقصود بالعبرة ١٢: الإخبار بالغيبات التي لا سبيل إلى الحس و العقل في قبولها). | | |
| ٦. ص ٢٢٩ | ٧. ص ٢٥٠ | ٨. ص ٢٥١ |
| ٩. ص ٢٦٠ | ١٠. ص ٢٧٥ | |

منه...»^١ «عمود الدين، أي: لا يقوم الدين إلا به كما لا تقوم الخيمة إلا بالعمود»^٢.

٢-٨. التعرض للتأويل للتدليل والإثبات

عرض العلامة الشارح لذكر التأويل في شرح الآية، ذلك لبيان الأمر وتوضيح وإثبات المطلوب كما في اثبات الإمامة من خلال آية «...وأولوا الأرحام...» في سورة الأحزاب/٧، فقال: بل يحتمل أن يكون هذا من بطون الآية وتأويلاتها المختصة بهم، إذ ورد في الأخبار الاستدلال بها - يقصد الآية ٧٥/الأنفال - على تقديم الأقارب في الميراث»^٣.

٢-٩. التدليل بآيات القرآنية لبيان المعنى وإثبات المطلوب

لقد استعان العلامة الشارح بالآيات القرآنية للتدليل على بيان المعنى وإثبات المطلوب بعد بيانه المعنى اللغوي والجوانب الأخرى للمفردة؛ ففي بيان علامات الامام الذي ورد في الحديث المنسوب للامام الباقر عليه السلام، قال: «فإن الولد الأكبر أولى في ذلك أو في الأخلاق والفضائل، أي يكون أشبه الناس به في تلك الأمور» وللتدليل على معنى «أولى» جاء بالآية الشريفة، فقال: «كما قال تعالى: «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه...»^٤.

٢-١٠. التعرض لأنواع المصاحف واختلاف القراءات للتدليل

معروف أن مصحف ابن مسعود كان بالتأويل والمعنى، فقد تطرق إليه العلامة الشارح كونه من الصحابة وعاصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشهد مغازيه، ومن بؤرة العرب ومهد الرسالة، فذكر الشارح مصحفه بقوله: «وفي قراءة ابن مسعود: إنا مولاكم الله ورسوله، مكان «وليكم»»^٥.

وفي إشارته إلى مصحف الإمام علي عليه السلام - مصحف الامامة - قال الشارح في اثبات أنهم - الأئمة - أحد الثقلين، قال: «كون جميع الكتاب عندهم على ترتيب النزول

٣. ص ٢١٠

٢. ص ٢٧٨

١. ص ٢٧٨

٥. ص ٢١٨

٤. ص ٢٠٥

لفظاً ومعنى، وكونهم عالمين بجميع علم القرآن ظهراً وبطناً، بل هم القرآن حقيقة»^١. وفي بيانه للكتاب الذي دفعه الامام الحسين عليه السلام لابنته فاطمة في واقعة كربلاء، قال العلامة الشارح: «...والكتاب الملفوف كان فيه الاسرار الذي لا ينبغي أن يطلع عليها - الاسرار - المخالفون، بل غير أهل البيت عليهم السلام»^٢.

وقوله أيضاً في القراءات المشهورة: «فإن لله خمسة: المشهور في القراءة فتح الهمزة على حذف المبتدأ، أي: فحكمه أن لله خمسة. وقيل: على حذف الخبر. وقرئ بكسرها أيضاً، والمعنى: أن الذي أخذتموه من مال الكفار قهراً»^٣.

وقوله: «أقول: القراءة المشهورة: المؤودة بالهمزة»^٤ و«أقول: الظاهر أن أكثر تلك الاخبار مبنية على تلك القراءة الثانية،... وبعضها على القراءة الأولى المشهورة»^٥.

٢-١١. ذكر أسباب النزول للتدليل وحل التنافي الظاهري

وقد تعرض العلامة الشارح لأسباب النزول للتدليل وإثبات المطلب، ولدعم وإسناد ما قال وقيل في حسم الأمر وإعلان النتيجة، وإضافة إلى قوله في ذلك، ذكر أقوال المحدثين والمفسرين في قوله: «ويؤيده ما رواه الصدوق في العلل عن... عن الباقر عليه السلام» قال: سألت عن قول الله عز وجل: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ (الاحزاب / ٧)، فيمن نزلت؟ قال: نزلت في الإمرة، إن هذه الآية جرت في الحسين بن علي وفي علي و... و...^٦، «عن السيوطي في الدر المنثور: لما نصب رسول الله صلى الله عليه وآله علياً يوم غدیر، فنأدى له بالولاية، هبط جبرئيل بهذه الآية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم...﴾ (المائدة / ٣)،^٧ ثم قال الشارح: «وروي أيضاً عن ابن مردويه و... عن أبي هريرة قال: لما كان يوم غدیر خم، وهو الثامن عشر من ذي الحجة، قال النبي صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه،

٣. ص ٢٧٩

٢. ص ٢٦٤

١. ص ٢٣٦

٦. ص ٢١٠-٢٠٩

٥. ص ٢٨٢

٤. ص ٢٨١

٧. ص ٢١٦-٢١٥

فأنزل الله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم...﴾ (المائدة / ٣)،^١ وهناك أقوال نذكرها مايلي: «قال الرازي في تفسيره الكبير في بيان محتملات نزول تلك الآية: «العاشر / ٧: نزلت هذه الآية في فضل علي عليه السلام»،^٢ «وقال الطبرسي (ره): روي العياشي ... عن ... عن ...: أمر الله محمداً ﷺ أن ينصب علياً عليه السلام ... فتخوف رسول الله ﷺ أن يقول ... فأوحى الله إليه الآية ...»،^٣ «حدثنا السيد أبو محمد عن الحاكم أبي القاسم الحسكاني بأسناده ... بأسناده عن ... عن ... عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في علي، فأخذ رسول الله ﷺ بيده عليه السلام فقال: من كنت مولاه ... الحديث المسلك الخامس ...»،^٤ و قال العلامة الشارح: «وقد اشتهرت الروايات عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام، أن الله أوحى إلى نبيه ﷺ أن يستخلف علياً، فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه فأنزل الله سبحانه هذه الآية: تشجيعاً ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك...﴾ (مائده / ٦٧) له على القيام لما أمره بأدائه».^٥

٢-١٢. التعرض للمكي والمدني للتدليل [مكان وزمان نزول الآية]

ففي المسلك الرابع، في إثباته لدلالة (الولاية - المولى) عرض الشارح لمكان وزمان نزول السورة المتضمنة للآية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم...﴾ فقال: «قال السيوطي من اتقان ه: أخرج ابو عبيدة عن محمد بن كعب قال: نزلت سورة المائدة في حجة الوداع ... وفي الصحيح عن عمر: أنها نزلت عشية عرفة ... ولكن عن أبي سعيد الخدري: أنها نزلت يوم غدير خم ...».^٦

لقد تعرض الشارح لمسألة ترتيب الآيات (القرآن) وفق النزول للتدليل، وذلك في رد من يعتمد على نظم وترتيب الآيات في التدليل والاثبات، وذلك في صدر آية التطهير، فقال العلامة: «لا يرتاب من راجع التفاسير أن مثل ذلك كثير من الآيات غير عزيز، إذ قد صرحوا

٣. ص ٢٢٨

٢. ص ٢٢٨

١. ص ٢١٦

٦. ص ٢٢٧

٥. ص ٢٢٩

٤. ص ٢٢٨

في مواضع عديدة في سورة مكية أن آية أو آيتين أو أكثر من بينها مدنية وبالعكس...»^١

٢-١٣. التعرض للعلوم البلاغية القرآنية

لقد تطرّق العلامة الشارح إلى هذا الجانب المهم، ففي إثباته لعصمة الإمام، وعلمه بالغيبيات :

(١) الإعجاز

قال الشارح في استنتاجه من الحديث الثالث المنسوب للإمام الرضا (عليه السلام): «...ومخصوص بأولاد الحسين (عليهم السلام) كما مرّ، أو الغرض بعده [أي: الامامة في عقبه] هو أظهر، وفي الإخبار بالولد إعجاز»^٢ [الدليل على عصمة الامام: علمه بالغيبيات وهي المعجزة].

(٢) التعرض لموضوع تناسب الآيات

لم يهمل ولم يغفل الشارح هذا الجانب، رغم ندرة التعرّض إليه في زمانه، فقال: «ولا يخفى، بعد إمعان النظر، المبانيّة التامة في السياق بينها وبين ما قبلها وما بعدها على ذوي الأفهام»^٣.

(٣) القول بالنسخ والاستدلال به

لقد عرض العلامة إلى هذه المسئلة، في حكم الصوم، في بيان الحديث السادس من باب «مانص الله ورسوله على الائمة من كتاب الحجة» وقوله: «ثم نزل الصوم» أي في غير القرآن أو بالآيات المجملّة نحو: ﴿و الصائمين والصائمات﴾ (الاحزاب / ٣٥) وأنه نزل أولاً ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ (بقره / ١٨٣) ثم في تتمّة الآيات عيّن كونه في شهر رمضان، وعلى التقادير يدلّ على أنّه كان قبل نزول صوم شهر رمضان صوم عاشورا ثم نسخ به^٤ ثم يأتي بقول الطبرسي (ره) واحتماله الوجهين ثم

بقوله: «واتفق هؤلاء (رواه صوم عاشوراء) على أن ذلك منسوخ بصوم شهر رمضان».^١

٤) التعرض للموضوع البلاغي: المفعول الموصول أو المقطوع

وهذا الموضوع اصطلاح يطلق على العلاقة والرابطة الموجودة بين جمل وآيات القرآن الكريم، وهو من المواضيع البلاغية «ويقصد به أن الآية في القرآن الكريم يكون اللفظ فيها متصلاً بلفظ آخر، والمعنى على خلافه، وقد يُسمى الموصول المفعول»،^٢ وقد تعرض الشارح لهذا الموضوع في قوله: «والتغيير فيها لفظاً ومعنى ظاهراً، أما لفظاً فتذكير الضمير، وأما معنى فلأن مخاطبة الزوجات مشوبة بالمعاتبة والتأنيب والتهديد ومخاطبة أهل البيت (عليه السلام) محلاة بأنواع التلطف والمبالغة في الاكرام، ولا يخفى بعد امعان النظر المبينة الثامة في السياق بينها وبين ما قبلها وما بعدها على ذوى الافهام».^٣

٢-١٤. التعرض إلى أنواع الخطوط - كتابة المصاحف -

حتى هذه المسألة لم يغفل عنها العلامة الشارح لعلمه بأهميتها، فقال: «فإنها - الالف - تكتب في رسم الخط الكوفي فاذا القديم هكذا L كان طرفها غير مائل كانت ناقصة...».^٤

٢-١٥. تفسير الآية بالحديث والتدليل به

بما أن الحديث النبوي الشريف هو تبيان للقرآن وذلك حسب قوله تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك القرآن لتبين للناس...﴾ فقد أخذ به العلامة الشارح، وأتى بالحديث لبيان وتوضيح معنى (الولي) في الآية بقوله: «وروى في الحديث: أيما امرأة تزوجت بغير إذن مولاهم فكأحها باطل، وكلما استشهد به (الحديث) لم يرد بلفظ مولى فيه إلا معنى أولى دون غيره».^٥

٢-١٦. التدليل بالمثل

تعرض العلامة الشارح للمثل لتقريبه للعقل وتجسيم الواقع، فقال: «وعذري وعذرکم، أي

حجتي وحجتكم من قولهم: أعذر إذا احتج لنفسه، أو برائتي مما رميت به من ادعاء الألوهية والولدية وبرائتكم من القول في ذلك...»^١ و«فقال الشيخ المفيد عليه السلام: لا يكون شيء ابلغ من قول القائل: قد تركت فيكم فلاناً.. ولا يتعدون الحكم بالصواب»^٢.

١٧-٢. تعرضه للمسائل العقيدية (الجبر والاختيار)

شرح العلامة المجلسي أنواع الإرادة، والمراد منها في الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ...﴾ (الاحزاب / ٣٣) فقال: «المراد بالإرادة في الآية إما الإرادة المستتبعة للفعل، أعني إذهاب الرجس حتى يكون الكلام في قوة أن يقال: إنما أذهب الله عنكم الرجس، أو الإرادة المحضة التي لا يتبعها الفعل حتى يكون المعنى...»^٣.

١٨-٢. التعرض للمسائل الفقهية

في شرحه الحديث العاشر المنسوب للإمام الصادق عليه السلام في باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين عليه السلام عرض الشارح للأمور - المسائل - الفقهية وذلك فيما جاء به بقول الشيخ المفيد عليه السلام: «قال بعض الشيعة: أن معنى هذا القول أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نص على صفة ما فيه الحكم على الجملة دون التفصيل، كقوله: يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب... وكقول الصادق عليه السلام: الربا في المكيل والموزون...»^٤.

١٩-٢. الاستشهاد بالشعر للتدليل

أتى العلامة الشارح بأبيات شعرية تتضمن الكلمة المعينة، وذلك للتدليل على معناها، وهي الطريقة المتبعة منذ صدر الإسلام، ومن رَوَّادها ابن عباس في جوابه لمسائل ابن الأزرق، فقال العلامة المجلسي في بيان معنى «المولى» وأشد بيت لبيد شاهداً له:
فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها^٥

وكذلك قال: «قال الأخطل:

فأصبحت مولاها من الناس بعده وأخرى قریش أن تهاب وتحمدا»^١

٢-٢٠. الاستعانة بالقواميس وكتب اللغة لبيان المعنى والتدليل:

أتى الشارح بمعاني المفردات من المعاجم وكتب اللغة لدعم وإسناد كلامه وشرحه، وللتدليل فقال: «قال في القاموس:.....^٢ ذكره في المغرب.^٣ وأحياناً يذكر باسم المؤلف كما يقول: قال الفيروز آبادي: أكذبه ألفاه كاذباً وحمله على الكذب». ^٤ فقال: «هذا الوجه ذكره الشيخ عيسى بن بطريق رحمته الله في العمدة، والشيخ ابو الصلاح الحلبي رحمته الله في تقريب المعارف».^٥

٢-٢١. التدليل باقوال المتقدمين، ممن شرح غريب ومجاز ومشكل القرآن

لبيان معنى المفردة القرآنية للتدليل والإثبات، تعرض الشارح لغريب ومجاز ومشكل القرآن وأوائل - المتقدمين - من كتب فيها وكتبهم. ولم يقتصر على توضيح المعنى، بل تعرض لأشهر الكتاب الذين كتبوا في هذا الصدد، وعرفهم بغية التوثيق وإثبات مبنى ومقصد الحديث، وكذلك بعث الاطمئنان في نفس القارئ والمحقق، هذا من جهة ومن جهة أخرى، كأن العلامة أراد بذلك تجليل الكتاب وذكر منزلتهم وبيان مكاتبتهم... فنراه عرف أباعبيدة بن المثنى في فقرة اعتراضية تفصيلية، فقال: في «ومنزلة [ابن المثنى] اللغة منزلته في كتابه المعروف بالمجاز في القرآن»..

ثم ذكر وزاد في تعريف أبي عبيدة ومكاته عند أهل اللغة، فقال: «وليس أبو عبيدة ممن يغلط في اللغة، ولو غلط فياه أو وهَمَ لما جاز أن يمسك عن النكير عليه والرد لتأويله،^(٥) ويستمر في ذلك حتى يقول: «فصار - بناءً على ذلك - قول أبي عبيدة الذي حكيناه مع أنه

لم يظهر من أحد من أهل اللغة ردّاً له كأنه قول الجميع^١.
وقال المبرّد - بعد ذكر تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾: والولي والأولى
معناها سواء، وهو الحقيق بخلقه المتولّي لأمرهم^٢. وقال الفراء في كتاب معاني
القرآن...^٣

٢-٢٢. التدليل بأقوال المفسرين والعلماء

لم يقتصر العلامة الشارح في معالجه الحديث على بيان معاني المفردات من خلال كتب
المجاز والمعاني والمشكل والغريب رغم كونها بمثابة كتب التفسير، لكنه تطرّق أيضاً
لأقوال العلماء والمفسرين في بيانهم لمعنى الكلمة وتفسيرها وذلك من كلا المدرستين -
الشيعة والسنة - وفي ذلك، قد تدرّج الشارح بنقله عن العلماء والمفسرين، فبدأ
بمقتدّمهم وأقربهم لعهد الرسالة، ثم أتى بأقوال من سلك طريقهم وخاص في بحر القرآن
الاستخراج لآلئه للاستفادة والإفادة... وفيما يلي نذكر ما أتى العلامة من أقوال العلماء
والمفسرين، مشهراً عن القائل تارة، ورامزاً إليه بـ «نحو»:

«قال المفيد (ره):^٤ قال الجوهرى: «فقد روى ابن الأثير... أن رسول الله ﷺ قال:
من كنت مولاه.. الحديث وروى البغوي في المصابيح والبيضاوي في المشكاة... أن
النبي ﷺ لما نزل بغدير خم أخذ بيد علي عليه السلام فقال: أُلستم تعلمون أنني
أولى بالمؤمنين من أنفسهم... الحديث»^٥، و«... قال ابن حجر في المجلد ٦ من كتاب فتح
البارى في شرح فضائل أمير المؤمنين عليه السلام من صحيح البخاري: وأما حديث: من
كنت مولاه... الحديث»^٦ و«قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: روى عثمان بن
سعيد عن... قال: لما بلغ علياً عليه السلام أن الناس يهتمونه... قال عليه السلام: أنشد الله من

١. ص ٢١٨

٢. ص ٢١٨

٣. ص ٢١٨

٤. ص ٢١٤

٥. ص ٢٠٧

٦. ص ٢٠٧

٧. ص ٢١٤

بقى ممن لقي رسول الله ﷺ وسمع مقالته في يوم غدیر خم إلا قام فشهد بما سمع...^١ وروى السيوطي في الدر المنثور عن... عن أبي سعيد الخدري قال: لما نصب رسول الله ﷺ علياً يوم غدیر خم،... الحديث.^٢

ثم بعد ذلك عرض العلامة إلى أقوال المفسرين، فقال: «وقال البيضاوي والزمخشري وغيرهما من المفسرين، ابن حجر في صواعق^٣ (٢٤٢) وفخر رازي في تفسير الكبير وشيخ الطائفة في نيبان، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿هي مولاكم﴾ (الحديد/١٥): هي أولى بكم. وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿...أنت مولانا...﴾: سيدنا ونحن عبيدك، أو ناصرنا أو متولي أمورنا»^٤ «وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير: اختلف الأقوال في أهل البيت، و الأولى أن يقال: هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم، وعلي منهم، لأنه كان من أهل بيته بسبب معاشرته بيت النبي ﷺ وملازمته للنبي ﷺ»^٥ «قال الطبرسي: المؤودة: هي الجارية المدفونة حياً، وكانت المرأة إذا حان وقت ولادتها... ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها»^٥

وقال السيد المرتضى ﷺ: «ولا خلاف بين المفسرين في أن قوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين... إلا به﴾ المراد به: بتدبيرهم والقيام بأمرهم...»^٦ «وقال الطيبي في شرح المشكاة: سمياً ثقلين إذ يستصلح الدين بهما، ويعمر كما عمّرت الدنيا بالثقلين، أو لأن الأخذ بهما عزيمة»^٧

وفي تفسير العياشي...^٨ ما رواه الصفار في بصائر الدرجات بإسناده عن موسى بن بكر، قال: ...،^٩ «أقول: روى السيد بن طاووس ﷺ في... (ص ٢٥١)

٢-٢٣. الاستدلال بالصحاح والمسانيد للآثبات والردّ

تطرّق العلامة الشارح لكتب الصحاح والمسانيد لوجود الحديث [أوصيكم بكتاب الله

١. ص ٢١٤	٢. ص ٢١٥	٣. ص ٢١٩
٤. ص ٢٤٢	٥. ص ٢٨١-٢٨٢	٦. ص ٢٢٥
٧. ص ٢٣٢	٨. ص ٢٦٨	٩. ص ٢٨٥

وأهل بيتي] فيها للتدليل والاثبات بتطبيق المثل السائر: «من فيك أدينك»، فقال: «قوله: ﴿ﷺ﴾ أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي»، أقول: الاخبار الواردة بهذا المضمون كثيرة أوردناها في كتابنا الكبير، وأشهرها ما رواه أحمد بن حنبل في مسند، قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «إني تركت فيكم... وعترتي أهل بيتي...»^١ وروي مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم قال:.... (ص ٢٣١)

«و روي ابن الأثير في جامع الجوامع نقلاً عن صحيح الترمذي قال:.... (ص ٢٣١). ثم قال الشارح: «وعن الجمع بين الصحاح الستة... من صحيح أبي داود السجستاني و صحيح الترمذي... و روى الترمذي في صحيحه... و روى البخاري في صحيحه في باب مرض النبي ﴿ﷺ﴾»^٢.

٢-٢٤. ذكر آراء المخالفين والرد عليها

لم يقتصر العلامة الشارح على الاتيان بأقوال المؤيدين للتدليل والاثبات، بل جاء أيضاً بأقوال المخالفين، وذلك بغية المقارنة بين القولين لإظهار الحق وإتمام الحجة على المخالفين، وبيان القول الصائب لقبوله من قبل كل ذي بصيرة متفتحة وله قلب سليم. وفي رده لمن يقول أن المراد من معنى «الولاية» هو المحبة والتعظيم، أتى الشارح يقول للسيد المرتضى ﴿رحمته﴾: «فأما الدليل على أن لفظة أولى يفيد معنى الامامة...»^٣ ومثلها في: ص ٢٣٧، و ص ٢٣٧ إلى ٢٤٠

٢-٢٥. بيان سبب قول الحديث

وفي سبب قوله ﴿ﷺ﴾ حديث التطهير وإثبات حصر «أهل البيت» أتى العلامة بما ورد في الصحاح والمسانيد، فقال: «ومنها ما رواه مسلم في صحيحه وصاحب المشكاة في الفصل الاول من الباب المذكور من سعد بن وقاص قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿... ندع

أبنائنا وأبناءكم..» (آل عمران/٦١)، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ﷺ فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي» ثم قال: «وقد روى هذه الرواية في جامع الأصول:....، ثم بعد ذلك قال: «وبإسناده عن أبي هريرة عن أم سلمة قالت: لما جاءت فاطمة سلام الله عليها ببرمة لها... فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»^١.

٢-٢٦. التدليل بالحدث التاريخي

استفاد الشارح من الحدث التاريخي للتدليل على المعنى، فنراه يعتمد إلى ذلك عندما يرى ضرورة وأهمية خاصة في نقل ذلك الحدث لارتباطه في إثبات المعنى، وإن كان العلامة الشارح لا يذكر المصدر والقائلين، ربما كان اعتقاداً منه بأن الحدث من المسلّمات المعروفة والجلية لدى الجميع، فمما جاء به هو واقعة الشورى (السقيفة)، ففيه قال: «واستدل قوم على صحة الخبر بما تظاهرت به الروايات من احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام به في الشورى (سقيفة)، حيث قال: أنشدكم الله هل منكم أحد أخذ رسول الله ﷺ بيده فقال:.... الحديث»^٢.

٢-٢٧. التدليل بأقوال من شهد الواقعة

محمد الشارح يذكر روايات عمّن شهد الواقعة لتكون أثبت وأضبط للتدليل والإثبات، وبالاختصاص من مصادر المعارضين والمؤولين لمصالحهم وأغراضهم، فقال العلامة المجلسي: «وروى مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم، قال: قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً بما يدعى خمّاً بين مكة والمدينة،... ثم قال: أما بعد أيها الناس،... وأني تارك فيكم الثقلين... الحديث»^٣، ثم أتى العلامة بقول آخر، ومن أتباع نفس المدرسة، فقال «روى ابن الأثير في جامع الأصول نقلاً عن الترمذي عن جابر بن عبد الله قال: رأيت

رسول الله ﷺ ... يخطب، فسمعتة يقول: «إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»^١.

٣. الهوامش

لقد التزم العلامة الشارح بذكر عناوين الآيات، وكذلك توضيح معاني الكلمات وذلك بإيرادها في الهوامش، وكذلك ذكر التصحيح وتكرار الأقوال، نحو: جاء في الحديث:.. سئل انس بن مالك.. فقال: آليت أن لا أكتب حديثاً ذاك رأس المتقين،^٢ فأتى بصحيحه في الهامش فقال: «وفي نسخة (المتقدمين) بدل (المتقين)، ولكن الظاهر ما اخترناه».^٣ أما في توضيحه لمعنى المفردات الواردة في النص، فقد ذكر ذلك في الهامش، نحو: حابي الرجل: مال إليه منحرفاً عن العدل».^٤ «الرمضاء: شدة الحر...»^٥. وفي تفقهه في الحديث يظهر ذلك متخفياً في الهامش بقوله: «كذا في النسخ، وفي المصدر، كما هو الحجة من اجتماعنا ليس بواجب» «ولا يخلو الكل من التصحيف ظاهراً»^٦ وقوله: في الهامش: «كذا في جميع النسخ، ولم أظفر على المصدر، وفي البحار "حساء" بالسین هو الظاهر».^٧

٤. إعلان كلمته الفصل

لا يترك العلامة الشارح أمراً أو مطلب دون بيان أو إعلان تتيجه النهائية، وفي ذلك، ولكلمته الفصل، استعمل مفردات واصطلاحات معبرة ودالة عليها - النتيجة - فنراه يقول: «والمراد بالوصية ليس الوصية بالامامة، بل مطلق الوصية»^٨ ويقول: «والحاصل أن هذه العلامة إنما هي للعلماء والخواص»^٩، «والحاصل: أن هذه (أن يكون أكبر ولد أبيه) بعد

١. ص ٢٣١	٢. ص ٢١٦	٣. ص ٢١٥
٤. ص ٢٢٨	٥. ص ٢٢٩	٦. ص ٢٣٤
٧. ص ٢٣٩	٨. ص ٢٥٥	٩. ص ٢٥٥

الحسين، العلامة ومع ذلك... فلا ينافي تخلفه فيمن تقدم»،^١ «ويؤيده أن في غيبة الشيخ: أنها جرت، وهو أظهر»^٢ و... فلا يحتمل إلا الأخير، والظاهر: أن المراد هنا الآية الثانية، لأنها أنسب بهذا المعنى...»^٣.

«ثم أن خبر الكتاب يحتمل الاستدلال أو بيان مورد النزول للآية الأولى، باعتبار المعنى الأول لظهوره...»^٤ «والحاصل أنه لم يبين لهم القدر الذي يجب اخراجه» (ص ٢١٣). «إن الاستدلال بخبر الغدير يتوقف على أمرين...، أما الأول فلا أظن عاقلاً يرتاب في ثبوته وتواتره»^٥.

وقد يأتي أحياناً أخرى بأقوال العلماء والمفسرين فيها مراده - حكمة الفصل - نحو: «وقال السيد المرتضى رحمته الله في كتاب الشافي: أما الدلالة على صحة الخبر فلا يطالب بها إلا متعنت، لظهوره واشتباره...»^٦ «عن السيد المرتضى: وإذا اعترف من حضر الشورى من الوجوه واتصل أيضاً بغيرهم من الصحابة... مع علمنا يتوفر الدواعي إلى إظهار ذلك لو كان، فقد وجب القطع على صحته...»^٧ «وإذا كانت لفظة مولى حقيقة في الأولى، وجب حملها عليها دون سائر معانيها»^٨.
ولدعم كلامه هذا، أتى العلامة بأقوال اللغويين المعروفين

وقوله: «ولا يخفى على عاقل أنه ما كان يتوقف بيان ذلك على اجتماع الناس في شدة الحر...» ثم اردف قائلاً: «وأيضاً نقول على تقدير أن يراد به المحب والناصر أيضاً يدل على إمامته عند ذوي العقول المستقيمة والفطرة القويمة بقرائن الحال»^٩.
وأحياناً يدلي الشارح بكلمته المرجحة في الإثبات بعد إثارة الجانب المعنوي بتحريك وجدان الإنسان المسلم وحثه على النصفة في الأمور والحكم، لعلمة ما لهذا الجانب من

- | | | |
|----------|----------|----------|
| ١. ص ٢٠٤ | ٢. ص ٢٠٩ | ٣. ص ٢٠٩ |
| ٤. ص ٢١١ | ٥. ص ٢١٦ | ٦. ص ٢١٧ |
| ٧. ص ٢١٧ | ٨. ص ٢٢٠ | ٩. ص ٢٢١ |

تأثير، فيقول: «إذ لا يخفى على منصف أنه لا يحسن من أمير قوى الأركان كثير الاعوان...»^١
«نرى العلامة، وفي ادلائه بالنتيجة النهائية، يلوح بتضعيف بعض الأراء، فيقول: «وأما ما زعم بعضهم من أن قوله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾: اللهم وال من والاه، قرينة على أن المراد بالمولى: «الموالي، والناصر، فلا يخفى وهمه».

وفي إثبات معنى كلمة «المولى» قال الشارح: «ولا ينكر هذا إلا جاهل بأساليب الكلام، أو متجاهل للعصية عما تتنازع إليه الأفهام».

و أيضاً في نفس المصدر الآنف الذكر، قال العلامة الشارح رداً على من يقول بالإطاعة في بعض الأشياء دون بعض، قال: «ومما يبطله أيضاً أنه إذا ثبت أنه ﴿عليه السلام﴾ مفترض الطاعة... حتى قال: فرض الطاعة على الخلق أوجبها عامة في الأمور كلها على الوجه الذي يجب للائمة ﴿عليهم السلام﴾ ولم يخص شيئاً دون شيء».

«... فالدعاء لمن يوالي وينصره، واللعن على من يتركهما في الأول أهم وبه أنسيا من الثاني، إلا أن يأول الثاني بما يرجع إلى الأول في المآل...».

«... أقول: لا يخفى على من شَم رائحة الانصاف أن تلك الوجوه التي نقدناها عن القوم. ثم سأل الله الهداية والإرشاد للجميع».

وفي إثباته دلالة «أهل البيت» قال العلامة الشارح: «وذهب أصحابنا رضوان الله عليهم وكثير من الجمهور إلى أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين ﴿عليهم السلام﴾ ولا يشاركهم فيها غيرهم».

ففي إثبات حصر أهل البيت في علي وفاطمة والائمة ﴿عليهم السلام﴾، قال العلامة: «فأقول: قد ظهر من تلك الاخبار المتواترة من الجانبين بطلان القول بأن أزواج النبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ داخله في الآية، وكذا القول بعمومها لجميع الأقارب، ولا عبرة بما قاله زيد بن أرقم من نفسه» وفي نظم وترتيب القرآن قال الشارح: «فالاتماد في هذا الباب على النظم والترتيب

ظاهر البطلان»، «وجملة القول فيه: إن من نظر إلى سياق الخبر المتقدمة وأنصف من نفسه، علم أن الأمر الذي دعا رسول الله ﷺ لأهل بيته وخصمهم به ومنع أم سلمة من الدخول فيهم مع جلالتها وكرامتها، لا بد أن يكون أمراً جليلاً لا يتيسر لسائر في الخلق»، أقول: يحتمل أن يكون إشارة إلى ما تتجدد لهم من العلوم في ليلة القدر وغيرها، فأنها من آثار علم النبوة المترتبة عليه، فالمراد بجعلها عنده جعله قابلاً ومهيئاً لذلك».

بعد التدليل بجميع ما لديه، يأتي بمسك ختام الحديث بكلمته الفصل فيقول: «ومع قطع النظر. أن دين النبي ﷺ إنما يحفظ ويبقى ويوضح بالوصي». «وأقول: فيه أيضاً ردّ على من زعم. فالمراد بهم أبو طالب وأمير المؤمنين ﷺ». «اختلف الناس في الآل... فثبت على جميع التقديرات أنهم آل محمد ﷺ». «لأننا نقول: يحتمل أن يكون المراد... أو يكون المراد بالموت...».

«وأقول: على هذا، يمكن أن يكون بناء الأول على الظهور (الغلبة والارجحية) في الجملة (اختصاراً)، والثاني: على الظهور التام، أو الأول على الخواص، والثاني على سائر الشيعة».

والحمد لله رب العالمين

المصادر

- القرآن الكريم

- التوحيد وآداب التلاوة، داود العطار، قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، ١٣٦٥ ش.
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، شيخ آقا بزرگ طهراني، دار الاضواء، بيروت.
- في البلاغة العربية، عبدالعزيز عتيق، دار النحوة العربية، بيروت.
- مرآة العقول في شرح اخبار آل الرسول، مولى محمد باقر مجلسي، دار الكتب الإسلامية، تهران، ١٤٠٢

الهوامش

١. «النشر على ترتيب اللف» والذي يسمّيه بعض البدعيين «الطي والنشر» وهو ذكر متعدد على التفصيل والاجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يردّه إليه لعلمه ذلك بالفرائض اللفظية أو المعنوية، [د. عتيق، في البلاغة العربية / ص ٥٩٣].
٢. لاستهجانه: لاستقباحه واستحيائه من التصريح به.
٣. وقد عدّ ابن المعتز «الالتفات» من محاسن الكلام وبديعه، فعرفه ومثله بعده أمثلة من القرآن الكريم والشعر فقال: الالتفات هو إنصراف المتكلم عن مخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى مخاطبة. [نفس المصدر السابق / ٥٦١].
٤. لا يكون مطعون في نسبة يعني: تكون سمعته من حيث النسب عفيفة ظاهرة.
٥. يعني: لو غلط أبو عبيدة لما سكّت عنه علماء اللغة في زمانه، ولأنكروا عليه غلطه.